

سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

البقرة (6)

معاني الكلمات :

{ كَفَرُوا } : الكفر: لغة التغطية والجحود، وشرعاً: التكذيب بالله وما جاءت به رسله عنه كلاً أو بعضاً.

{ سَوَاءٌ } : بمعنى مُسَوًّى انذارهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم.

{ أُنذَرْتَهُمْ } : الإنذار التخويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد.

{ لَا يُؤْمِنُونَ } : هذا محط الفائدة في نفي التساوي . أي إهم أنذرهم أم لم تنذرهم . لا يؤمنون

المعنى الإجمالي :

يخبر تعالى أن الذين كفروا، أي: اتصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصاروصفا لهم لازماً، لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ، إهم مستمرون على كفرهم، فسواء عليهم أأنذرتهم، أم لم تنذرهم لا يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة، وكان في هذا قطعاً لطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في إيمانهم، وأنك لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات.

فقوله تعالى (إن الذين كفروا) بالله عنادا وجاهروا بتكذيب القرآن فهؤلاء يستوي عندهم الإنذار وعدمه إذ لا ينتفعون به ولا يتجهون إليه فلا تتأثر بهم ولا نأسى عليهم. فقلوبهم مغلقة لا يصل إليها النور الإلهي الممثل في الآيات، وأسماعهم لا يعرفها صوت الحق لأنها تنبو عنه، وأبصارهم لا تراه لأن عليها حجاباً كثيفاً هو حجاب التعامي عن آيات الله، أولئك لهم عذاب من نوع خاص ليس مألوفاً: عذاب عظيم.

إن البصير العاقل هو الذي يتأمل في مستقبله وفي الحق الذي ينفعه، وينفر من الباطل والضلال، ويوازن بين صفات المؤمنين البتاءة التي هي إيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإيمان باليوم الآخر، وصفات الكفار الهدامة التي هي دمار وخراب، وابتعاد عن هداية الله الحقة، وانكباب في نار جهنم، والمؤمن هو المواطن الصالح الأمين، والكافر هو العدو الخائن لنفسه وأمنته ومجتمعة.

وقوله تعالى: { سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون } : هذا تسلية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم. لا اعتذاراً للكفار .، ولا تبسلاً له صلى الله عليه وسلم و "الإنذار" هو الإعلام المقرون بالتخويف؛ والرسول صلى الله عليه وسلم بشير، ونذير؛ بشير معلم بما يسر بالنسبة للمؤمنين؛ نذير معلم بما يسوء بالنسبة للكافرين؛ فإنذار النبي صلى الله عليه وسلم وعدمه بالنسبة هؤلاء الكفار المعاندين، والمخاصمين . الذين تبين لهم الحق، ولكن جحدوه . مستو عليهم..

الكفر أنواع كثيرة؛ من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له، ولا تنفعه الشفاعة يوم القيامة

1- **كفر التكذيب**، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطناً فقد كفر، والدليل قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ [العنكبوت: 68].

2- **كفر الإباء والاستكبار**، وذلك بأن يكون عالماً بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا يتفاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكباراً وعناداً، والدليل قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [البقرة: 34].

3- **كفر الشك**، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَّيْنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا [الكهف: 35-38].

4 - **كفر الإعراض**، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والدليل قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ [الأحقاف: 3].

5 - **كفر النفاق**، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والدليل قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ [المنافقون: 3].

الكفر الأصغر

النوع الثاني: كفر أصغر غير مخرج من الملة:

وهو ما لا يناقض أصل الإيمان؛ بل ينقصه ويضعفه، ولا يسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل الزجر والتهديد؛ لأنها من خصال الكفر الكفر صور كثيرة، منها:

1- كفر النعمة 2- الخلف بغير الله تعالى 3- الطعن في النسب، والنياحة على الميت . وأنواع الكفر الأصغر كثيرة يتعذر حصرها .

الفوائد:

- 1- التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم.
- 2- (الإنذار) الإعلام مع تخويف. والمراد هنا: التخويف من عذابه تعالى، وانتقامه.
- 3- أن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن مهما كان المنذر والداعي؛ لأنه لا يستفيد.
- 4- أن الإنسان إذا كان لا يشعر بالخوف عند الموعظة، ولا بالإقبال على الله تعالى فإن فيه شبهاً من الكفار الذين لا يتعظون بالمواعظ، ولا يؤمنون عند الدعوة إلى الله.
- 5- أن الكفر معناه الستر: ولذلك يسمى الزُّرْع بالكفار؟ لأنه يستر الحب تحت الأرض كما قال عز وجل: ((كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ)) الكفار هنا: هم الزراع لأنهم يسترون الحب ومن ثم: فإن الكافر الذي خالف شرع الله يستر ماذا؟ يستر الفطرة التي قال عنها النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: ((ما من مولود إلا ويولد على الفطرة)) جميع البشر يولدون على فطرة الإسلام لكن هذا الكافر أتى بكفره فغطى على جميع الفطر.
- 6- أن على المسلم أن يحذر من الكفر والكفر هو نقيض العقيدة والعقيدة الصحيحة من وفق إليها وفق إلى كل خير.
- 7- الكافر: من خلال هذا المعنى بعيد عن الله بعيد عن نور الله بعيد عن الخير كله.
- 8- من فوائد هذه الآية: أنه جل وعلا قال: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَفَرُوا) بمن؟ لم يقل شيئاً كفروا بالله كفروا بالرسول عليه الصلاة والسلام كفروا بالملائكة كفروا بالبعث والنشور كفروا بما أخبر الله به أو أخبر به النبي عليه الصلاة والسلامة إذاً: كل من كان كافراً فإنه يصدق عليه هذا الوعيد ثم يدخل في ذلك كل نوع من أنواع الكفر.

9- من فوائد هذه الآية: أن الله حكم على هؤلاء الكافرين أنهم لا يؤمنون ولا ينتفعون أبداً قال شيخ الإسلام: أن هذه الآية عامة في كل زمن وفي كل مكان: أن من اتصف بهذه الصفة وهي صفة الكفر الذي بلغ منتهاه وأغلق قلبه وفؤاده فإنه في مثل هذه الحال لا ينتفع.

10- الشيطان يضع أمام العبد عقبات:

أول ما يأتي الشيطان للعبد يأتيه عن طريق الكفر: إن هو كفر فهذه أعظم أمنية لدى الشيطان فإن عجز عنه أتاه عن طريق البدع والبدع أعظم من الكبائر فإن عجز عن أن يوقعه في البدع أتاه عن طريق الكبائر فإن عجز عن إيقاعه في الكبائر أتاه عن طريق الصغائر وجعله يستمر عليها فإن عجز: أتاه عن طريق فعل المكروهات فإن عجز أتاه عن طريق الإكثار من المباحات فإن عجز فإنه لا يسلم منه أحد فيأتي بالخواطر **قال ابن القيم:**

((لا يسلم من هذه الخواطر أحد لا نبي ولا ولي ولا مؤمن))
لكن لما يكن عند المسلم سلاح الإيمان فإن هذه الخواطر سرعان ما تزول ولشاهد من هذا: أن على المسلم أن يحرص على عقيدته
11- من فوائد هذه الآية: أن الإنذار الذي ذكر في هذه الآية يحمل تخويفاً وتهديداً فرق بين أن تقول: أنذرَكَ وأخبرَكَ.

12- الإنذار في اللغة العربية لا يمكن أن يكون إنذاراً إلا إذا كان هناك وقت جعله المُنذِر للمُنذَر له جعل له وقتاً يمكن أن يحتز فيه لما أقول: أنذرتك لا بد أن أجعل لك وقتاً كي تحتز من إنذاري لكن لو أنني لم أجعل لك وقتاً لتحتز من إنذاري هذا لا يسمى إنذاراً يسمى [إشعاراً]

13- من الفوائد: أن الله عز وجل أكد أن هؤلاء لا تنفع معهم الموعظة: ختام الآية قال - لما قال: ((سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {6}))

والله أعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (6)



فوائدها من سورة البقرة

الآية 6

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز